**منهجية البحث الفلسفي:  
المحاضرة1:**

**في دلالة كل من الفلسفة والمنهج:  
 ان الفلسفة كنشاط فكري ظهرت ولأول مرة ببلاد اليونان القديمة وذلك حوالي القرن السادس قبل الميلاد على يد مجموعة من الفلاسفة الطبيعيين امثال طاليس ،وانكسمنس...وقد ظهرت كلمة فيلوسوفوس لاول مرة مع فيتاغورس الذي يعتبر اول من سمى نفسه فيلسوفا ،اي محبا للحكمة وباحثا عن المعرفة ، على اعتبار ان كلمة فلسفة تعني في اصلها الإغريقي محبة الحكمة،فمصطلح فيلوسوفوس ظهر كمقابل لمصطلح سوفوس والذي يعني الحكيم والمدعي لامتلاك المعرفة ،  
 وهكذا فإن الفلسفة في اصلها الاشتقاقي في اللغة اليونانية تعني محبة الحكمة والبحث عن الحقيقة بشكل مستمر دون ادعاء امتلاكها ،فالفلسفة في اليونان ظهرت كتفكير عقلاني في مقابل التفكير الأسطوري الخيالي الذي كان سائدا باليونان قبل ظهورها وهو ما ذهب اليه جون بيير فرنان في مؤلفه الاسطورة والمجتمع ، لكن هذا لا يعني ان هنالك تعريفا واحدا وموحدا للفلسفة بين جميع الفلاسفة بل هنالك اختلاف وتضارب في دلالتها من فيلسوف لاخر ، فكل فيلسوف يعرفها من وجهة نظره الخاصة ،فمثلا تعريف أفلاطون للفلسفة ليس هو عينه تعريف ديكارت أو دولوز، فإذا كان افلاطون يعرف الفلسفة بكونها البحث المستمر عن الحقيقة ‘فديكارت يعتبرها بمثابة شجرة جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزيقا وفروعها باقي العلوم الأخرى بما في ذلك الطب والميكانيكا ، في حين يعرفها دولوز بانها نحت للمفاهيم ،ولعل هذا ما جعل البعض يقول بان الفلسفة لا تعريف لها.  
 هذا فيما يتعلق بدلالة الفلسفة اما عن المنهج فهو يحيل في الدلالة اللغوية الى السبيل والطريقة والمنوال وأيضا الى الشاكلة ،اما اصطلاحا فهو طريقة في التعامل مع المواضيع عرضا وطرحا ومناقشة ‘ وهو بذلك يتعدد بحسب طبيعة الموضوع (علمي ، أدبي ،فلسفي،ديني) كما يعرف ايضا بكونه الطريقة التي تسلكها الذات العارفة للوصول الى موضوع المعرفة ،وذلك من خلال الإعتماد على قواعد ومبادئ عقلية صارمة ، فالمنهج بهذا المعنى قد مثل بالنسبة للفكر الانساني علامة على تميز الافكار ومجالات المعرفة ،بل ان اكتشاف العلوم ارتبط بنحت منهج سميت باسمه ،إذ اصطلح على العلوم التي تستعمل المنهج التجريبي بالعلوم التجريبية وهو ما اكده الدكتور يوسف تيبس في مقال له بمجلة رؤى تربوية تحت عنوان منهج العلم ،غير ان تاريخ المعرفة الانسانية لم يعرف منهجا واحدا بعينه وإنما عرف مناهج متعددة ومختلفة وهو ما سيتضح لنا من خلال معالجتنا للمباحث القادمة.**  
 **لقد احتل المنهج في الحضارة الغربية مكانة هامة جدا، إلى حد أنها سُميت بحضارة المنهج. وربما استُنتِج من ذلك أن الحضارة الشرقية (بما فيها العربية الإسلامية) ليست حضارةَ منهج بالمعنى الذي يعنيه المنهج في الغرب. خاصة إذا أضفنا إلى ذلك أن الغرب عرف قلقا منهجيا نتج عن القطيعة مع ماضيه في بداية العصور الحديثة، دون أن تعرف الحضارة العربية الإسلامية تلك القطيعة.  
 فحين نذكر فرنسيس بيكون صاحب كتاب "الأورغانون الجديد، إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة" الذي كتب في تصديره لكتابه هذا حول المنهج قائلا:  
"إن منهجي (...) سهل في الشرح، منهجي هو (...) أن نستمر في الأخذ بشهادة الحواس (...) أن نفتح مسارا جديدا للعقل أكثر وثوقا، يبدأ مباشرة من الإدراكات الحقيقية الأولى للحواس نفسها (...) لقد أصبح العقل محشوا بمذاهب فاسدة وأوهام فارغة، إن فن المنطق يسهم (...) في تثبيت الأخطاء لا في كشف الحقيقة" (التصدير، ص 9)،  
وحين نذكر ديكارت الذي كتب في كتابه "قواعد لتوجيه الفكر: "المنهج ضروري للبحث عن الحقيقة (...) وأعني بالمنهج جملة قواعد يقينية تعصم كل من يُراعيها بصرامة من حمل الخطأ محمل الصواب..." (القاعدة الرابعة، قواعد لتوجيه الفكر)  
 نذكر من جهة أخرى الغزالي الذي كتب في "المنقذ من الضلال: "فقد سألتني أيها الأخ في الدين، أن أبثّ إليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرقِ، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد، إلى يفاع الاستبصار، وما استفدته، أولا من علم الكلام، وما اجتويته، ثانيًا من طرق أهل التعليم، القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام وما ازدريته، ثالثًا من طرق التفلسف وما ارتخيته، آخرًا من طريقة التصوف وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق، من لباب الحق..." (المنقذ مم الضلال)  
 وابن رشد الذي كتب في كتابه "الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبه المزيفة والبدع المضلة": "وكل هذه الطوائف قد اعتقدت في الله اعتقادات مختلفة، وصرفت كثيرا من ألفاظ الشرع عن ظاهرها إلى تأويلات نزلوها على تلك الاعتقادات، وزعموا أنها الشريعة الأولى التي قصد بالحمل عليها جميع الناس، وأن من زاغ عنها إما كافر وإما مبتدع. وإذا تُؤمِلت جميعها وتُؤمِل مقصد الشرع ظهر أن جلها أقاويل محدثة وتأويلات مبتدعة" (ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، ص 100)  
فنسأل: إذا كان المنهج قد لازم ثقافتنا الماضية، فإما أنه منهج غير سليم رغم نشأته في سياق إيجابي، وإما أن سياقه أبطل مفعوله الإيجابي. وفي كلا الحالتين لا يمكن الحديث عن منهج منعزل عن مذهب أو عن فكر حامل له.  
انطلاقا من هذا الهاجس، نقترح بعض المعطيات المعرفية للتفكير في إشكال المناهج في الفلسفة، وهي معطيات منتقاة تتعلق بمنهج أفلاطون والغزالي وديكارت وهوسرل وراسل. ليس الهدف هو المنهج في حد ذاته، وإنما الهدف هو اعتبار إشكالية المناهج في الفلسفة مناسبة أو فرصة لطرح علاقتنا بالمنهج من وجهة نظر فلسفية. ويجب أن نقول منذ البداية أن هاجسنا هو هاجس معرفي بالدرجة الأولى، أي نقترح معطيات معرفية كأرضية للتفكير في مسألة المناهج في الفلسفة.  
المنهج لغة:  
 حسب لسان العرب، المنهج هو المنهاج وهو الطريق الواضح البين، والنهج هو الطريق المستقيم، ونهج طريقا سلكه، ونهج الأمرُ وضَح.  
نستنتج خاصيتين أساسيتين للمنهج من هذا التعريف وهما: الطريق (الذي يتم إتباعه) والوضوح.  
وفي اللغة الفرنسية، فالمنهج حسب قاموس "لاروس" هو: أ) مجموعة مبادئ وقواعد ومراحل منظمة منطقيا تشكل وسيلة لبلوغ نتيجة معينة، ب) وهو طريقة تقنية لإنجاز فعل أو عمل أو نشاط معين، ج) ومجموعة قواعد تسمح بتعلم تقنية معينة أو علم ما.  
والمنهج حسب قاموس المركز الوطني للموارد النصية والمعجمية (CNRTL) هو: أ) طريقة قيادة الفكر والتعبير عنه انسجاما مع مبادئ المعرفة.  
نستنتج من هذا التعريف الخصائص التالية للمنهج: قواعد ومبادئ، مراحل، تنظيم منطقي، وسيلة وغاية.و  
ويعود أصل كلمة méthode الفرنسية إلى الكلمة اللاتينية méthodus التي يعود أصلها هي بدورها إلى الكلمة اليونانية methdos، والمكونة من كلمتين هما meta (وتعني: ما بعد، ما وراء، ما يلي، ما يواكب) وكلمة hodos (الطريق)، ويعني المنهج حسب هذه الاشتقاقات اللغوية الطريق المرسوم سلفا، والذي يقود إلى النتيجة.  
وحسب معجم لالاند الفلسفي، كان المنهج يعني عند أرسطو البحث فقط، ويرتكز المنهج على إرادة توجه عمل الإنسان من أجل بلوغ غاية محددة. ويجمع المنهج بين ما هو نظري وما هو عملي، بين الملاحظة والتجربة من جهة، وعملية التفسير من جهة أخرى.  
  
 المنهج بصفة عامة:  
  
 لا يوجد مجال بدون منهج ملائم له والأمثلة كثيرة على ذلك: فيمكن الحديث عن المنهج الرياضي والمنهج التجريبي والمنهج التماثلي والإحصائي ومنهج تصنيف النباتات في العلوم، ومنهج تقييم الحاجيات في الاقتصاد، والمناهج النفسية والتحليلية في علم النفس والتحليل النفسي، والمنهج المقارن ومنهج استطلاعات الرأي في علم الاجتماع ومناهج أخرى في مجالات عدة مثل الفنون الجميلة والإعلاميات والطب والبيداغوجيا واللسانيات والموسيقى والدين والتكنولوجيا...  
 فما المقصود بالمنهج عموما؟ المنهج هو عبارة عن قواعد تُفرض على الفكر دون أن تؤثر سلبيا على جوهره، هو خطوات تسمح للنظرية بمواجهة الواقع، هو طريقة في التفكير، رابط يربط الفكر بالواقع من أجل إبراز الحقيقة. وهو ضامن النظام والترتيب الفكري والارتباط بما يوجد خارج الفكر، لذلك تتضمن فكرة المنهج النظام والترتيب وإجراءات تفرض التتبع والتطبيق.  
وتعرف جماعة "بور-روايال" المنهج أنه "فن الترتيب والتنظيم الصحيح لمجموعة من الأفكار للكشف عن الحقيقة أو البرهنة عليها".**

**فالمنهج هو الخطة المتبعة للوصول إلى نتيجة معينة، أو هو الترتيب الذي يتقيد به سير العمل للوصول إلى نتيجة . وهو الطريق المؤدي إلى بلوغ الحقيقة، باعتباره مجموعة العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها علم من العلوم إدراك الحقيقة ، مع إمكانية بيانها والتأكد من صحتها. وللمنهج مستوى نظري هدفه الوصول إلى الحقيقة، ومستوى عملي يتحدد باعتباره مجموعة الطرق التي نريد الوصول بواسطتها إلى نتيجة عملية معينة. وإذا كانت العلوم التجريبية تقوم على منهج يتكون من الملاحظة والفرضية والتجربة، وهو منهج ينسجم مع موضوع الدراسة الذي يتألف من عناصر مادية ، وبما أن مواضيع الفلسفة هي في الأغلب ليست مادية فانه كان الضروري ظهور منهج ينسجم مع موضوع الدراسة فيها، وعندما حاول الفلاسفة وضع هذا المنهج تبين لهم أنهم أمام مناهج وليس منهجا واحدا. ومن هذه المناهج الحدس والتمثيل ، ومنهج الشك والمنهج الظواهري والتحليلي والبنيوي.**

**ويمكن القول أن هذا التعريف ينطبق على جميع المناهج:  
المنهج التحليلي: وأساسه تفكيك كل معين إلى عناصره المكونة له من أجل ضبط العلاقات التي تربط فيما بينها.  
المنهج التركيبي: وأساسه الانتقال من العناصر المكونة لكل معين إلى هذا الكل ذاته، عبر الانتقال من البسيط للمركب.  
المنهج الاستنباطي: ويتطلب الانتقال من القضايا الأولية إلى القضايا المستخلصة منها عبر قواعد منطقية.  
المنهج الاستقرائي: ويتطلب الانتقال من الخاص إلى العام، أو من الحالات الخاصة إلى القضايا العامة عبر المقارنة وتوسيع مجال القاعدة العامة لتتضمن كل الظواهر المشابهة للظاهرة التي تمت دراستها.  
المنهج الموضوعي: ويقوم على الوصف المحايد لظاهرة معينة، أي بدون التأثر بأية مؤثرات مثل المصلحة والأحكام المسبقة...  
المنهج الجدلي: ويتطلب دراسة الظاهرة مع أخذ نقيضها بعين الاعتبار بغية التوصل لنتيجة تركيبية.  
المنهج التجريبي: الانطلاق من التجربة للوصول لنتيجة تصادق عليها التجربة أيضا، ويرتكز على خطوات تسمى بخطوات المنهج التجريبي (ملاحظة، فرضية، تجريب، استنتاج).  
المنهج النسقي: يتطلب التعامل مع الظاهرة كنسق أي كمجموعة عناصر مترابطة فيما بينها وتؤثر على بعضها البعض، ويهدف إلى تحويل هذه العناصر إلى خطاطة أو بنية.**